

قراءة جديدة لشعرنا القديم

بقلم : صلاح عبد الصبور

... عندما بدأ الشعر الجديد يثبت اقدمه في ارض الوطن العربي لم يكن في مقدور الفئات المضادة الا ان تلعب برؤوس القراء باشاعتها . وقد بدأ الهجوم بتوجيه اعتراض على الشكل الجديد (التفعيلة) ولكن نقاد الشعر الجديد ورواده البتوا ان قضية العروض مسألة ثانوية على اعتبار ان الخليل قنن المرحلة السابقة ولم يفسح دستورا للمستقبل ، بل حتى ولو كان الخليل قد وضع عروضاً للمستقبل فلا يصح ان ننظر له نظرة تقديس ... وحينئذ بدأت الفئات المضادة تهتم الشعراء الجدد بانهم رمزيون او انهم لا ينتمون الى تراث الامة الادبي وانهم لا يعرفون شيئاً من تراثهم ، وكان رد الفعل متمثلاً في مقالة ادونيس عن علاقتنا بالتراث عام ١٩٦١ ودراسات النوبهي وعز الدين اسماعيل ، واخيراً كتاب « قراءة جديدة لشعرنا القديم » للاستاذ صلاح عبد الصبور . وقد نظر نقاد الشعر الجديد لتراثنا القومي نظرة تختلف عن نظرة القوميين التقليديين ، فالقومية الجديدة قومية منفتحة انسانية ، قومية لا تقار على التراث غيرة عمياء ، فهي تنسف قصر التراث الشقيق الجدران والمتداعي الاركان وتبنيه من جديد وعلى اسس عصريّة ما دامت حجارته باقية وما دامت الارض هي نفس الارض ودون ان يفقد جوهره ، بينما اكتفى القوميون التقليديون بترميم القصر ترميماً شكلياً من وقت لآخر ، هذا الترميم الذي لا يصلح ان نستقبل فيه البيوت او ماياكوفسكي بل لا يصلح لاستقبال النبي ولا العربي .

من هذا المنطلق بدأ صلاح عبد الصبور كتابه الجديد ، وعسد الصبور شاعر منظم الثقافة والمنهج سواء في شعره او دراساته النقدية ابتداء من ديوانه الاول حتى هذا الكتاب . وقد نظر صلاح عبد الصبور الى التراث نظرة اليوتية ، فبعد ان ثبت تأثره الواضح بالبيوت تراه يكتب النقد كما كتب البيوت ويؤمن بان الشاعر لا بد ان يكون ناقداً . ويمكننا ان نقول بدورنا « صلاح عبد الصبور كلاسيكي في الادب ، صوفي في المذهب ، اشتراكي مثالي في السياسة » مع فهم معنى الكلاسيكية والصوفية ، معناهما المتجدد والانساني .

فرغم ان « مأساة العلاج » تتناول شخصية عربية ، فان بناءها الفني قائم على التراث الكلاسيكي اليوناني ، وهذا يظهر في تقليد عدد الشخصيات . وهو ينظر للتراث نظرة القومي الحديث المنفتح على ثقافات الامم الاخرى ، نظرة تمسك بجوهر التراث لا بقشور القومية التي يتمسك بها القوميون التقليديون . « فالتراث بمعناه الحي ليس تركة جامدة ولكنه حياة متجددة » .

وفي هذا الكتاب يضع صلاح عبد الصبور كما يقول « علامات الامان » لقراءة الشعر القديم . وعلامات الامان هي الطريقة المثلى لقراءة الشعر القديم ، فهو « يطمع ان يرى الجمال حيثما وجد بمقياسها العصري فلا يأسرها حكم سابق » ولكن كيف تطبق منهجاً عصرياً على شيء قديم ؟

ان دراسة صلاح عبد الصبور ترد على هذا رداً عملياً ، فهو ومن خلال دراسته يمتد على الشعر الذي يصلح لكل زمان واغلبه هو شعر الحب والنفس والطبيعة ، وتناسى شعر البديع والهجاء مثلاً الذي يدرس مرتبطاً ببيئته ومناسبته .

في الفصل الاول « ما جدوى الشعر » يرى صلاح عبد الصبور

ان الشعر اعظم واصدق من الحياة نفسها . وهذه النظرة هي نظرة الفن للفن التي ترى ان الحياة تقلد الفن وليس العكس ، ويرى ان الشعر « هو فن اكتشاف الجانب الجمالي والوجداني من الحياة والتعبير عنه بالكلمات الموسقة » فبدون الشعر - قصائد الحب والفزل - مثلاً لم تكن لنستطيع ان نرتفع بالجنس الى افق الحب ، ويقول ايضا « كانت حياتنا جديرة بان تفتقد الفضيحة لو افتقدت الشعر ، والفضيلة هنا هي فضيلة تقدير الحياة والنفس . ويعرض الاستاذ صلاح لنظريتين متعارضتين هما : الالهام والصنعة ، ثم يفرق بين نوعين من الشعراء وعلاقتهم بالتراث : شعراء يمتلكون التراث وشعراء يمتلكهم التراث .

وفي فصل « بين المهانة والتمرد » يقول صلاح عبد الصبور : « فهل امر الشعراء العرب الكبار امر عقد نفسية ام ان الامر امر مناخ اجتماعي شملهم جميعاً ؟ ... نعم لقد اجبر الشعراء العرب على التزام وضع اجتماعي مهين » ويفسر انقياد الشعراء لهذا الوضع المهين (التكسب) بقوله : « لذلك قصة مؤسسة تتلخص في تحول الشاعر الجاهلي من منزلة الخطيب الى مرحلة التكسب التي بدأها النابغة والاعشى حيث تحول الوجدان الى حرفه » ثم يتحدث عن ثلاثة ابواب لافقة للنظر في الشعر القديم هي : ذم الزمان - الشسفوذ الجنسي - الخمر .

وفي باب « الشاعر يتفلسف » : يتحدث عن امكانية استخراج فلسفة لهؤلاء الشعراء ، ويتناول شعر الزهد لعلاقته بالزمن والحياة التي هي الوجود كله ، ويقول « شعر التزهيد يمثل شعور الجماعة ، بينما يمثل شعر التأمل في الموت شعور الفرد . اما شعر ميتافيزيقيا الموت فهو شعر اصيل لنفس حساسة بمقياسها الخاص . ثم عرض الاستاذ صلاح لما يمكن ان نسميه « مشكلة الموت » فنظر بعضهم نظرة ابيقورية كطرفة ، ومنهم من يرى ان الموت مجنون يخطف الاحبة ، ومنهم من يرى ان الحياة كلها قبر كتمتم بن ثويرة « هذا كله قبر مالك » . ثم يطرح صلاح عبد الصبور قضية التجاور القريب في شعر ابي نواس بين المجون والزهد ، ويستشهد ببعض الابيات لابي نواس . اما ابو العلاء فتتكون فلسفته من الزهد الميتافيزيقي ، وعن العربي قال « انه يرى ان الموت لون من النعيم سيلفاه الانسان ويرى ان الدنيا لون من الاسر » .

وفي فصل « حوار مع الكون » يقول صلاح عبد الصبور « نظل الطبيعة صامتة حتى نتحدث بلسان الفنان ووجدانه » ، ثم يدرس مقطعاً من معلقة امرئ القيس الخاص بوصف ليلة ممطرة وبين اهمية عنصر الحركة الذي يملكه الفنان لبحرك به الطبيعة ، ثم يتحدث عن المزج بين الطبيعة والنفس ، ويقول ان هناك مدرسة ثانية هي مدرسة التجسيم التي تجعل من الطبيعة كائناً حياً كما في شعر البحتري وابي تمام وابن الرومي ، ويرى ان المتنبي قليل الالتفات للطبيعة فليس له سوى قصيدتين : بحيرة طبرية وشعب بوان . اما العربي « فكسائت رؤيته للطبيعة استيحاء لتراثه لانه لم يعط نعمة البصر » اما المدرسة الثالثة فهي مدرسة اللوحات التعبيرية التي تتناقض في رسم الطبيعة كالصنوبري في صنوبرياته ومثل كشاجم .

وفي فصل « حوار مع الكائنات » يتحدث عن علاقة الشاعر بحيوانات الصحراء كالظبي والجمال والذئب والحمامة ، ويضرب امثلة عن الذئب الصديق والذئب العدو ، ويقول ان الحمامة رمز الحب والحرية . ثم ينتقل الى ادب الناقة ويعارض قول فون جروبنانوم من ان معظم شعر العرب دار حول الناقة كما دار شعر الهنود حول البقرة ، ويقول ان فيه اسرافاً شديداً .

وفي فصل « الشاعر والحب » يطرح الاستاذ صلاح بعض الآراء : ١ - تعابشت النظرتان الجسدية والعذرية للمرأة في الجاهلية والاسلام ، ولم يكن الاسلام سبباً في وجود الحب العذري لان هنالك شعراء عذريين في الجاهلية كالمرقشين والمخبل السعدي وعبد الله بن العجلان .

ذلك فقد وصف الشاعر العربي النموذج الثابت في الخيال لا الواقع المتطور لشخصية المرأة وبيئتها . . . وكان ادونيس قد تناول هذه الفكرة في محاضراته عام ١٩٦١ ولكنها كانت مركزة . أما الاستاذ صلاح ففسرها بوضوح بعيدا عن اسلوب ادونيس الذي يحتاج الى شرح كشرح الشعر القديم .

وفي الفصل الاخير نصطدم في بداية صفحته الاولى بنسبة القصيدة التي مطلعها « ولقد دخلت على الفتاة الخدر في اليوم الطير » حيث ينسبها الاستاذ صلاح للمخيل السعدي مع انها للمخيل اليشكري ، بدليل ان الاستاذ صلاح نفسه نسبها للمخيل (صفحة ٦٧) وبدليل البيت « فدننت وقالت : ما بجسمك يا « منخل » من حرور » . في هذا الفصل يتناول الاستاذ صلاح بعض الصور الفنية في شعرنا القديم ، مثل روح الفكاهة والرمزية والتجسيم والتوليد .

بقيت بعض الملاحظات على هذا الكتاب ، فهو :
اولا : نظرة سريعة لشعر التراث لم تقف عند كل صغيرة وكبيرة .
ثانيا : هذا الكتاب مفتاح لدراسة شعرنا القديم دراسة جديدة وليس نهاية لهذه الدراسة لانه تناول خواطر شاعر جديد بسرعة ونشر الكتاب قبل الاوان .

ثالثا : ارى ان يتناول النقاد والقراء الشعر القديم تناولا جديدا اي ادعو الى التخصص في قراءة كل شاعر قراءة جديدة لان دراسة الاستاذ صلاح كانت دراسة شاملة .

رابعا : ارى واقترح على الاستاذ صلاح او النقاد الجسد ان يرسموا للقراء « قراءة جديدة لنثرنا القديم » كما قاموا بقراءة جديدة للشعر القديم .

وبعد فهذا الكتاب خلاصة ثقافة شاعر ، وهو في الوقت نفسه رد على حماة التراث الادعياء والذين يسيئون له يشبت ان رائدا من رواد الشعر الحديث يمتلك ناصية التراث العربي وجوهره وليس كما يدعي القوميون التقليديون : ان الشعراء الجدد لا ينتمون لتراثهم ولا يفهمونه .

محمد عز الدين المناصرة

القاهرة

٢ - نظر الشعراء للمرأة نظرة رومانسية فهم ينظرون لها نظرة :
١ - الملهمة ، ب - مزجهم الحب بالموت ، ج - ولعهم بالهروب والوحدة . وهذه كلها من صفات الرومانتيكية .

ويرى الاستاذ صلاح ان مأساة هؤلاء العشاق تدور حول ثلاثة نماذج من الحب :

١ - فتى يشيب بابنة عمه فيخشى اهلها الفضيحة فيحولون بينها .

٢ - فتى يحب الفتاة ويخطبها ولكن اهلها يعظمون الصداق فيبحث عن المال وعندما يجده يجد حبيبته تزوجت بغيره .

٣ - فتى يتزوج حبيبته فيجدها عاقرا فيطلقها ويندم بعد ذلك . ويرى الاستاذ صلاح ان النوع الاول والثالث فيهما كثير من المبالغة ويقول ان العرب لم يكونوا ينفون من التشبيب بيناتهم ويستشهد بسكينة وام البنين وعائشة بنت طلحة بانهم لم يكن يأنف من تشبيب الشعراء بهن » .

ولكن يمكن ان نعترض على رأي الاستاذ صلاح بانه من الصحيح ان هؤلاء النسوة كن يطلبن التشبيب ربما بدافع من ارضاء غرورهن ، ولكن هل كان يوافق اهلن على هذا ؟ وانا لا يهمني مصير المشيب بها، بل يهمني مصير الشاعر الذي هو محل الدراسة ، ومصيره معروف : انه الموت ، لان اهلن لم يوافقوا على هذا التشبيب . واقرب مثل هو ام البنين التي تناسى الاستاذ صلاح ان الشاعر الذي شبيبها (وضاح) كان مصيره القتل . اما سكينة فيمكن ان نعترض بقولنا : ان سكينة عاشت في صالونها الادبي يحترمها الشعراء ، ويمكن ان نفسر هذا التشبيب بها بانه نوع من الاطراء لشخصيتها الادبية تماما كما تعجب فتاة عصرية بنجم من نجوم السينما فهي تستطيع ان تقول لزوجها : انها تحب الممثل الفلاني » .

وفي فصل « مثال الحب » يتحدث الاستاذ صلاح عن النموذج الثابت للمرأة الجميلة الحبيبة ويستعرض اوصافها المثالية في شعر التراث كالبداية وطيب الرائحة والسخونة والرطوبة المواتية . ويفسر الاستاذ صلاح كل هذه الصفات تفسيراً جميلاً ، وقد بقيت هذه الصفات حتى القرن الخامس هي النموذج الاعلى للحبيبة . اما بعد

هكذا انتصر الفيتكونغ

بقلم

رمون نياطي

« فقد « الفيتكونغ » منذ ان دخل في حرب المواجهة المباشرة مع اميركا ما يقرب من نصف مليون مقاتل ، خلاف الجرحى والاسرى ولا سيما الذين تلفت اعصابهم وانهار عليهم اليأس . . ورغم ذلك ، صمدت الجبهة ، وواصلت الكفاح بعزم اكبر ، وبقدرة دفاعية اقوى حتى استطاعت ان توجه ضرباتها المتتالية في قلب العاصمة سايفون التي تنتظر الآن هجوما كاسحا عليها . . .

« لقد استطاعت الجبهة ان تقود كفاح الجماهير الشعبية وان تصمد ببطولة امام اكبر واقوى دولة في العالم . . وقد اقتنع العالم كله بشرعيتها ولم يبق الآن سوى الاعتراف بها رسميا ، ومن جانب الولايات المتحدة اولا . . وهكذا انتصر الفيتكونغ » .

كتاب نحتاج اليه الآن ، لانه يحمل لنا دروسا كثيرة في نضالنا وكفاحنا لاسترداد ارضنا المسلوبة . .

صدر حديثا

٢٥٠ ق ٠ ل